خطاب من امرأة مسيحية إلى المرأة المسلمة

ترجمة: أ. مصطفى أبو المجد (*)

فى ظل توالى الهجمات الإسرائيلية والصهيونية على الشعب اللبنانى بدعوى "الحرب على الإرهاب" إلا أن قضية الإسلام باتت تخيم سقف كل منزل أمريكى. إننى أرى المذابح والموت والدمار الذى حلّ بالشعب اللبنانى، كما أننى أرى أيضاً شيئاً آخر، فأكاد ألحظ بناظراى كل سيدة تعيش على أرض لبنان. أرى تقريباً السيدة التى تحمل طفلها الرضيع وحولها أطفالها الصغار، إننى أحترم لباسها الذى يزينها ويبرز جمالها الخارجى برغم ملابسها المحتشمة! إننى ألحظ ذلك جيداً، كما أننى أشعر بغيرة داخلية منها، ولكننى آسف وأشعر بالحزن تجاه ما يُرتكب ضدها من جرائم رهيبة.

إن ما يلاقيه الشعب اللبنانى يدل على استهدافه حقاً من قِبل عدونا المشترك. وبرغم ما هم فيه، إلا أننى معجبة بقوة تحملها، وبالتواضع الذى تعيشه المرأة حتى فى ظل ذلك القصف المستمر، وبرغم ما هم عليه إلا أنها فى سعادة أكثر مما نحن عليه. ذلك لأن المرأة هناك مازالت تعيش حياة طبيعية، الحياة التى فُطرت عليها، حياة الطبيعة، والتى كان الغرب يعيشها حتى عام ١٩٦٠، إلى أن تم قصف معالم هذه الحياة بالذخائر الفعلية الحقيقية، وهى إفساد الحياة الأخلاقية بكل مكرٍ وخديعة، تلك القذائف التى توالت علينا نحن الأمريكيات من نتاج صناعة السينما الأمريكية، وذلك بدلاً من القصف بالطائرات والدبابات الأمريكية الصُنع. إنهم يريدون تدميرك من هذا المنحى أيضاً، وهى خطتهم بعد الانتهاء من قصف البنية التحتية فى بلادكم، فأنا لا أريد أبداً أن يحدث لك هذا، فعندها ستشعرين بأنك مهزومة حقاً، مثل ما هو شعورنا

(*) مترجم برابطة الجامعات الإسلامية.

نحن الآن . يمكنك أن تتجنبى هذا النوع من القصف ، ولك أسوة حسنة فى الاستماع من أولئك الذين خسروا وعانوا كثيراً من هؤلاء الأشرار ، فكل ما يخرج علينا من نتاج السينما الأمريكية ، ما هى إلا مجموعة من الأكاذيب ، وتشويش للحقائق . إنهم يزينون لكن برامج ممارسة الجنس على أنها حرية ترفيهية ثقافية ، وإنما تهدف فى حقيقتها إلى تدمير النسيج الأخلاقى للمجتمعات ، وأرجو أن لا تسرن خلف هذا السراب ، فإنه سم ، وتأثير الجرعة القليلة منه كالكثير ؛ فلذا أنصح لكن الابتعاد بالكلية عنه ، فإنه بعد تذوقه لا جدوى من الشفاء من أقل ضرر تسبب فيه . إنهم يعملون جاهدين على إغوائك من خلال ما يعرضونه من أفلام الإثارة وأشرطة الفيديو والموسيقى الماجنة ، كما سيصورون لك زوراً سعادة النساء الأمريكيات ورضاهن عن حياتهن فى ظل السفور ، والحياة التى تشبه حياة البغايا .

صدقينى أنا : فلسنا بسعداء كما يوهمونك ، فالملايين منا لا يعشن إلا بتناول الأدوية المضادة للاكتئاب ، بل إننا أصبحنا نكره أعمالنا ، وكم نصرخ من داخلنا من خداع هؤلاء الذين يوهموننا بأنهم يحبوننا وسرعان ما يرحلون عنّا بعد قضاء ما يريدون . إنهم يريدون تدمير علاقاتكم الاجتماعية والأخلاقية ، بتقليل معدل إنجاب الأطفال لديكن ، وذلك عن طريق إيهامكن أن الزواج تقيد ، والأمومة عبودية وأسر ، وإن هذه الحياة لا تتفق مع المدنية والتحضر ، ولكنهم ما يريدون لك سوى إذلال نفسك وفقدك الثقة فى إيمانك . إنهم يغوونك كما أغوى الشيطان حواء بأن تأكل من الشجرة ، فلا تجيبيهم لذلك سبيلا .

إننى أرى أنك معدن نفيس ، ذهب نقى ، "لؤلؤة ذات قيمة كبيرة" . (ورد كذلك فى إنجيل متى : ٤٥ :١٣) . كل النساء لآلئ ذات قيمة كبيرة ، فلا تنخدعن معشر النساء بمن يشكك فى قيمتكن ، وكما قال يسوع فى إصحاح متى : "لا تحقروا من شأن كل ما هو مقدس ، بأن تلقونه للكلاب ، ولا تُلقوا باللؤلؤ أمام الخنازير لئلا يطئونها

بأقدامهم لجهلهم بقُيمتها، وإذا ذللتم فارجعوا" (متى: ٦ : ٧) . اللآلئ لدينا لا تقدر بثمن، لكنهم يحاولون إقناعنا بأنها رخيصة، ولكنى أقول لكى صدقينى: لا بديل عن أن تنظرين إلى المرآة بعين الطهارة والبراءة لتعرفين قيمة نفسك وتقدرين التعرف على قيمتك.

إن الموضة الغربية التى تخرج علينا، لتجعلك تعتقدين أن حياتك الخاصة بك هى أفضل منها، وأن ملابسك المحتشمة وارتدائك للحجاب يجعلك أكثر جمالاً وجاذبية من أى تفنن غربى. إن الحجاب برغم ما يُخفى من محاسنك، إلا أنه يُضفى لناظرك مظهر احترام الذات والثقة التى تفتقدها الكثيرات من النساء الغربيات كما أنه يصونها من أعين الذين يشغفون بالنظر إلى المرأة، فلذلك يجب الحذر من مثل هؤلاء. وإن نظرة الرجل يجب أن تكون قائمة على الاحترام والتقدير لك، ولا يريدك إلا بالزواج، وهذا ما نعانيه من نظرة الرجال الغربيين للمرأة. المرأة الغربية جهلت قيمتها كلؤلؤة ذات قيمة كبيرة ورضيت أن تكون حجراً صلداً مبهرجاً يلمع أمام الناظرين. إن التزامك بمبادئك وإيمانك هى سر جمالك وبراءتك الذى يسخر كل شئ لك، ولكن مع ذلك لاحظت أن بعض المسلمات تحاولن تقليد المرأة الغربية قدر الإمكان، حتى ممن يرتدين الحجاب. لكننى أأسف من تقليد هؤلاء النساء الساقطات، وأقول أن عاقبة هذا التقليد لن تكون إلا الندم وفقد الهوية، وعندها لا يمكن أن تعوض خسارتها بأى شئ كان. فأنت كالماس لا يشوبه شائبة، فلا تدعين هذه الحِيل تنال منك وتصبحين كالحجر الصلد، وثقى بأن كل ما ترينه معروضاً فى المجلات والموضات وشاشات التلفزيون الغربية ما هى إلا أكذوبات وفخوخ شيطانية تريد أن تنال منك.

اسمحى لى أن أبوح لك بسرية عن شئ غريب كان ينتابنى منذ لحظة ذللت بممارسة الجنس وحتى انجرفت فيه، فإننا معشر النساء كنا نسلم أجسادنا رخيصة تحت هيام الحب والعشق لرجال معتقدين أنهم يحبوننا ويريدون الزواج منا كما نرى

ونشاهد على شاشات التلفزيون، ولكن ذلك كله كان سرابا، فهم يريدون الجنس ومجرد المتعة واللذة فقط دون أمن بالزواج وسرعان ما تكون المفارقة بعد قضاء الوطر، وتبقى الواحدة منا غارقة فى البكاء والنحيب.

إننى أتحدث كامرأة لأختها : إننى أجزم لك بالفعل أن عليك أن تدركين أنه لا يتفهم ما بداخل المرأة إلا المرأة مثلها، وأن قلوب النساء جميعاً واحدا، إننا معشر النساء نعرف قيمة الحب، لذلك نبذل من أجله كل شئ، فتهتم المرأة بتنشئة أسرتها وتوفير المزيد من الراحة للرجال الذين نحبهم. لكننا نحن النساء الأمريكيات كثيراً ما نُخدع باعتقادنا أن المرأة تكون أكثر سعادة عندما تعمل خارج بيتها باسم الحرية، وتختار من تشاء من الأفراد الذين تحبهم ويحبونها. إن هذه ليست حرية، وهذا ليس بحب، وكيف يتوفر لها أن تأمن على قلبها وجسدها إلا مع الزواج الآمن الذى ينشأ الحب تبعاً له، فيجب ألا تقبل المرأة شيئاً غير ذلك.

نكران الذات :

إنها الخطيئة التى لم تُغفر، وإننى أراها خديعة لك، حتى وإن كان ظاهرها يوحى لك بأنك قد استرددت مكانتك، فنحن النساء الأمريكيات حدث لنا ما يشبه غسيل الدماغ تجاه ما يُقال عن أن المرأة المسلمة مهيضة ومضطهدة، لكن عند النظر بعين الحقيقة، ستجدين أننا نحن المهيضات والمضطهدات لست أنتن. وإننا عبيد لكل جديد من الموضات المعروضة، لا ثِقل لنا ولا وزن، وإننا اللواتى يلهثن وراء الرجال بدعوى الحب والبحث عن السعادة، إننا نتحطم من داخلنا، ونصدق أنفسنا برغم أنه لا يخفى علينا خديعة الآخرين لنا. إننا بحق نغبطك أختى المسلمة على ما أنت عليه وإن كان البعض منا لا يعترف علناً بذلك؛ فلذا أرجوك: لا تحطى من قدر نفسك وأن تنظرى للأمور على طبيعتها، ولا تكونين مثلنا، فما نحن عليه ليس نتاج خطأنا وحدنا، فلم

نحظى بوجود آباء لنا مثلكن يحفظوننا ويحمونا من الشتات، وذلك لأنهم دمروا عائلاتنا وصلاتنا، وعليك أن تعرفين من هم الذين خلف هذه المؤامرة؟

لا تنخدعن أخواتي! ولا تدعينهم ينالون منك أيضاً، وحافظن على طُهركن وبراءتكن. نحن النساء النصرانيات بحاجة حقاً إلى من يساندوننا في الحياة لنكون مثلكن، ونريد منك أن تعطينا مثالاً لنحتذي به، إننا فقدنا القدوة الحسنة. تمسكي أختاه بعفافك وتذكرين جيداً: أن الذي يُفتقد لا يُعوض أبداً؛ فلذلك احذري على نفسك! إنني يحدوني كبير أمل أن تتلقين هذه النصائح وترسخينها في ذهنك جيداً، وتأكدي أنني ما قلتها إلا لما أُكنّه لك من الوفاء والاحترام.

من أختك النصرانية المحبة لك

(جونا فرايسس - كاتبة صحفية)